الثقافة الإسلامية

(١٩)

اللقاء بين الحوزة العلمية والجامعة

الإصدار الثاني

مع إضافات وتصحيح وتنقيح

محمّد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومقالات

ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي

- ١٩ -

* * *

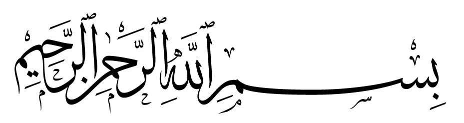
اسم الكتاب: ....اللقاء بين الحوزة العلمية والجامعة

المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الاولى: .... ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م

الكمية .... ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة:...... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف


بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء بين الحوزة العلمية والجامعات لقاء مبارك يحمل خيراً كثيراً لأمتنا، وسوف أتناول هذا الموضوع من البدايات بقدر ما يسعنا الوقت[1].

١ـ التفريق بين العلم والثقافة:

في أدبياتنا الإسلامية نواجه مصطلحين متقاربين ومختلفين في المعنى، مصطلح (العلم) و(المعرفة).. وهما يؤديان معنيين مختلفين ولكنهما متقاربين.

وفي أدبياتنا المعاصرة نستخدم كلمة (الثقافة) موضع كلمة (المعرفة) وكلتا الكلمتين تعبران عن معنى واحد تحقيقاً.

فيدخل في دائرة العلم: الرياضيات، وأقسام الهندسة، وأقسام الطب، والجراحة، والصيدلة، والفيزياء، والكيمياء، وطبقات الأرض، وعلم النفس والاجتماع، وعلم الحضارة، واللغة، والنحو، والصرف، وما يتصل بذلك.

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة على جمع من علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف وأساتذة الجامعات العراقية.

ويـدخل فـي دائـرة الثقافـة: القـرآن، والسـنة، والأخـلاق، والعقيدة، والكلام، والفلسفة، والفقه، وما يتصل بذلك.

ولسـنا الآن بصـدد التفريـق العلمـي بـين هـاتين الكلمتـين ويكفينا الآن توضـيح التفريـق بـين مفـردات كـل مـن هـاتين الدائرتين، دائرة العلم ودائرة الثقافة، على نحو الإجمال.

٢ـ العلاقة بين العلم والثقافة:

العلـم قـوة، والثقافـة هدايـة. الثقافـة تـؤدي دور التوجيـه والهداية، والعلم يدعم الثقافة، وهما يتكاملان.

العلم يستقيم ويُوجّه بالثقافة، والثقافة تَقْوى بـالعلم، وكـل منهما يكمّل الآخر. وبالعكس الثقافة تضعف من دون العلـم، والعلم يطغى ويشطّ من دون الثقافة.

وبناءً على ذلك فـإن العلـم والثقافـة يتكـاملان. العلـم مـن دون الثقافة قوّة تبطش وتفتك.. وقد وجدنا كيـف قـام العلـم بفلق الذرة لغايات عسكرية تخريبية لا إنسانية، وقـام بتصـنيع الأسلحة الجرثومية والكيمياوية.

وليس بوسعنا الآن التفصيل في التفريق بين العلم والثقافة.. ولكنا نشير على نحو الاختصار إلى أنّ الثقافة والمعرفـة ذات

مردود مباشر وواضح على سلوك الإنسان ومنهج تفكيره ومواقفه.. مثل (التوحيد ومعرفة الله فإنها ذات مردود مباشر على سلوك الإنسان، لأنها تدعو إلى خشية الله، وخشية الله توّجه سلوك الإنسان باتجاه التقوى والصلاح.

ومثله المعارف التي تحمل معنى (يجب) و(يحرم) و(ينبغي) و(لا ينبغي) و(يلزم) و(يحظر) مثل (الفقه) و(الأخلاق).

و(العلم) ما لا يحمل هذا المعنى التوجيهي لسلوك الإنسان ومنهجه في التفكير وموقفه.

مثل الهندسة، واللوغاريتمات، والجبر، والطب، والصيدلة، والجراحة، والكهرباء، والذرة، والنجوم، وأمثال ذلك.

بينما القضايا الثقافية ذات مردود مباشر أو واضح على السلوك أو تحمل مباشرة معنى الوجوب. كما نقول تجب الصلاة ويجب الصوم، يحرم الربا، ويجب الإحسان إلى الوالدين، ويحرم إيذاؤهم، وينبغي للإنسان أن يعفو عمّن أساء إليه، ولا ينبغي أن ينفعل الإنسان ويغضب، ويجب

التوحيد ويحرم الشرك، وتجب العبادة والعبودية، وتحرم العصيان والمخالفة.. وهكذا، ويدخل في هذا الباب.. القرآن والفقه، والقانون، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والعقائد، والأخلاق، ويدخل في هذا الباب الأدب والجماليات، لأنها تؤول أيضاً بنحو من الأنحاء إلى ما ينبغي وما لا ينبغي.

وكما أن للإسلام ثقافة، كذلك للجاهلية ثقافة، وكما أن للتوحيد ثقافة كذلك للشرك ثقافة، وكما أن هناك أخلاقية ثقافية للمؤمنين والمحافظين على القيم، كذلك هناك أخلاقية ثقافية للمتحررين عن الأخلاق والقيم.

وعلى العموم فإن دور العلوم هو الكشف عن الواقعيات الكونية والاجتماعية والقضايا العقلية كالتاريخ، والجغرافيا، والرياضيات، والهندسة بأقسامها، والطب بأنواعه، والصيدلة، والجراحة، وعلوم الفلك والفضاء، والعلوم المختبرية، والنحو، والصرف، واللغة.. ودور الثقافة توجيه السلوك والمنطق والعقل الإنساني، وتوجيه علاقة الإنسان بالله تعالى وبنفسه وبالأشياء وبالآخرين، من أصدقائه وأعدائه وهو حقل واسع يشمل معارف إنسانية كثيرة.

العلم قوة غير موجّهة يوفر للإنسان الإمكانات والقدرات التي يطلبها في الخير والشر وفي السلم والحرب. وما أكثر ما استخدم الإنسان هذه القوة في التخريب والإفساد والقتل في الحروب.

وقد استخدم الأمريكان الطاقة الذرية الهائلة في الحرب العالمية الثانية في اليابان في ناكازاكي وهيروشيما، واستخدم الناس العلم لتدمير العمران وقتل الناس وقهر الضعفاء.

والثقافة من دون العلم ضعيفة، وعاجزة، ولا تملك القدرة على التغيير والبناء والتوجيه. وعليه فلابد من أن يقترن العلم بالثقافة ليستقيم العلم ويوجّه، ولابد أن تقترن الثقافة بالعلم لتقوى الثقافة وتتمكن من أداء دورها في تقويم العلم وتوجيه الإنسان.

وهذا هو الذي ذكرناه آنفاً من أن العلم والثقافة يتكاملان.

٣ ـ المؤسسات الثقافية والعلمية والعلاقة بينهما :

في بلادنا وتاريخنا نوعان من المؤسسات: مؤسسات ثقافية ومؤسسات علمية.

المؤسسات الثقافية هي المساجد في الدرجة الأولى، فقد كانت دراسة القرآن والحديث والفقه والأخلاق والعقائد والكلام والفلسفة تنعقد في المساجد.

والحوزات العلمية تقع في امتداد رسالة المساجد، ومنها انطلقت.

وإلى جانب هذه المؤسسات مؤسسات علمية تعنى بدراسة العلوم المختلفة مثل العلوم الأدبية وعلوم الطب والرياضيات والهندسة والفيزياء والكيمياء والميكانيك وغيرها.

وبإمكاننا أن نُعدّ من القسم الأول في تاريخنا مدرسة المدينة المنوّرة، والكوفة، ومدرسة النجف الأشرف، ومدرسة قم، وجامع الأزهر، وجامع القرويين، وجامع الزيتونة، والحوزات العلمية في الهند وباكستان.

وبإمكاننا أن نُعدّ من النوع الثاني المدرسة المستنصرية ببغداد والمدارس العلمية الأخرى في بغداد وجندى سابور، ودمشق وغيرها من حواضر العالم الإسلامي.

العلاقة بين المؤسسات الثقافية والعلمية:

كانت العلاقة بين هاتين المؤسستين في تاريخنا علاقة وطيدة قائمة على التكامل فيما بينهما، فتقوم المؤسسات الثقافية بدور توجيه وهداية المؤسسات العلمية، والمؤسسات العلمية تدعم وتقوى المؤسسات الثقافية، ولا يستغني أي منها عن الآخر.

وهذه العلاقة الوطيدة، والصلة الوثيقة بينهما، كان من أهم أسباب استقامة العلوم والمعارف وانتعاشها في التاريخ الإسلامي.. وكان كل من هاتين المؤسستين يحافظ على علاقته بالمؤسسة الأخرى، وهما يتراشدان ويتكاملان.

٤ـ تاريخ عزل المؤسسة الدينية عن المؤسسة الأكاديمية:

نجد بدايات الانفصال بين المؤسستين في تاريخنا المعاصر في أواخر الدولة العثمانية، وظهور حركة التغريب في أوساطنا الثقافية. في هذه الفترة بالذات، بدأت حركة التغريب تزحف إلى العالم الإسلامي، وكلما كان الضعف والعجز يدبّ في جسم الدولة العثمانية كانت حركة التغريب تنشط في العالم الإسلامي أكثر من ذي قبل.

واقترنت هذه الحركة بالحركة القومية في تركيا، والبلاد العربية، وإيران، (القوميات الطورانية والعربية والفارسية) وهي القوميات الثلاث الكبيرة في العالم الإسلامي.

بدأ الغرب يخطط في هذه الفترة لعزل المؤسسة الدينية عن المؤسسة الأكاديمية أولاً، وإضعاف المؤسسة الدينية ثانياً، وإدخال الثقافات الغربية إلى العالم الإسلامي ثالثاً، وتوزيع ميراث الدولة العثمانية بعد سقوطها على يد كمال أتاتورك بين أقطاب دول الاستكبار العالمي آنذاك رابعاً، وتحويل أجزاء واسعة من العالم الإسلامي إلى مستعمرات انكليزية وفرنسية وإيطالية وبرتغالية في معاهدة (سايكس بيكو ١٩١٦م ووعد بلفور في إقامة الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي ١٩١٧م)... خامساً.

وتوالت المصائب في هذه الفترة بالذات على العالم الإسلامي.. ومن أعظم هذه المصائب حركة التغريب، وعزل المؤسسة الدينية عن المؤسسة الأكاديمية، وإضعاف دور المؤسسة الدينية، وتهميشها.

ولكي نفهم أبعاد هذه المؤامرة الكبيرة على العالم

الإسلامي نحتاج إلى دراسات واسعة عن المخطط الغربي الصليبي للسيطرة على العالم الإسلامي، في هذه الفترة، وعن التقارب العجيب بين حركة التغريب والاحتلال الغربي للعالم الإسلامي، وأقصد بذلك التقارب بين حركة التغريب الثقافية والحضارية، وحركة الاحتلال العسكرية للعالم الإسلامي، والتبعية السياسية والاقتصادية الواسعة للغرب، في أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، والعلاقة بين هاتين الحركتين (الثقافية والعسكرية)..

ولست أدري أين كانت هذه الأمة العظيمة التي اختارها الله تعالى لتكون أمة وسطاً، قيّمة على البشرية شاهدة عليها.. عن هذه المؤامرة الصليبية الصهيونية الواسعة على العالم الإسلامي؟

واتسعت بعد ذلك دائرة هذه المؤامرة عند دخول الطرف الإلحادي (الاتحاد السوفيتي، والموجة الماركسية) في هذه المؤامرة، فأصبحت المؤامرة ذات ثلاثة أضلاع (الإلحاد، والصليبية العالمية، والصهيونية العالمية) تكالبت جميعاً على العالم الإسلامي.

وقد عشنا طرفاً من هذه المؤامرة الواسعة.

وكانت المؤسسة الدينية الهدف الأول لهذه المؤامرة الثلاثية، وكان من غاياتها الأولى إضعاف المؤسسة الدينية المتمثلة في (حوزات الدراسات الدينية)، وإحداث جدار عازل بينها وبين المؤسسات الأكاديمية، حتى أصبح كل منهما ينفر عن الآخر.

٥ـ انهدام جسور التواصل الحضاري بين الأجيال:

لقد قام كمال أتاتورك في تركيا، وكانت تركيا يومئذٍ قلب العالم الإسلامي، بتبديل الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، وإلغاء الحرف العربي بصورة كاملة وعلى نحو الإلزام، ومن خلال القانون، في المدارس والجامعات، والنشر، والصحافة، والمراسلات والإذاعة..

وكان الحرف العربي هو الحرف الذي يمارسه المسلمون يومئذٍ جميعاً بكلّ قومياتهم: العرب، والأتراك، والفرس، والأكراد، والأردو.. وكان الحرف العربي هو الجسر الثقافي الذي يربط شعوب العالم الإسلامي وقومياته، بعضهم ببعض، ويربطهم جميعاً بالكتاب والسنة، وهما عربيان، وبالتراث

الإسلامي العربي الذي يشكل أوسع مساحات الثقافة الإسلامية.

لقد ألغى كمال أتاتورك الحرف العربي وخلال ثمان عشرة سنة (من الدراسة الابتدائية، والدراسة الثانوية، والدراسة الجامعية) فنشأ جيل جديد في تركيا لا يستطيع أن يقرأ القرآن والسنة النبوية، ولا يتمكن أن يطلع على الثقافة الإسلامية الواسعة المكتوبة بالحرف العربي، ولا يستطيع أن يتواصل مع سائر شعوب العالم الإسلامي من خلال الحرف المكتوب، ولا يستطيع أن يرتبط بثقافة آبائهم الأتراك الذين دوّنوا ثقافتهم بالحرف العربي.

لقد عزل أتاتورك الشعب المسلم التركي خلال فترة قصيرة عن العالم الإسلامي، عامة، وعن تراثه، ودينه، وكتابه، وتاريخه، وثقافته مرّة واحد، وكان الحرف الجديد الذي فرضه أتاتورك فرضاً على الأتراك جداراً عازلاً محكماً عزل هذا الشعب عن أمته وتاريخه مرة واحدة. . لقد نجح الغرب في تمرير هذه المؤامرة الكبيرة على العالم الإسلامي على يد كمال أتاتورك.

الجدار الحضاري العازل بين المؤسستين:

لقد كان حريّاً بالغربيين أن يصنعوا تمثالاً لكمال أتاتورك في كل مدينة من مدنهم، فلم يُقدّم لمشروعهم الحضاري ـ العسكري في بسط نفوذهم على العالم الإسلامي، أحد من الجميل مثل ما قدّمه لهم أتاتورك في عزل المسلمين عن دينهم، وتراثهم، وتاريخهم، وأمتهم، خلال فترة قصيرة قياسية.

وقد كان للغرب عملاء آخرون في إيران (أُسرة بهلوي) وفي أفغانستان (أمان الله خان) وفي مصر وسائر أقطار العالم الإسلامي، مثل ما كان لهم في تركيا، ولكن أيّاً من عملائهم لم يتوفّق أن يقوم بما قام به أتاتورك من تغريب المسلمين وعزلهم عن أمتهم ودينهم بهذه الصورة.

والذي صنعه الساسة الغربيون في سائر أقطار العالم الإسلامي كان في امتداد ما صنعه كمال أتاتورك في تركيا على درجات مختلفة.. لقد أقام الساسة الغربيون جداراً عازلاً بين المؤسسة الدينية والمؤسسة الأكاديمية في أقطار العالم الإسلامي، فعزلوا بذلك المؤسسة الأكاديمية عزلاً كاملاً عن

المؤسسة الدينية، كما عزل أتاتورك الجيل الصاعد عن الجيل المتقدم عليه عزلاً كاملاً.

وهذا المشروع وذاك يلتقيان في تغريب الأمة، وتجريدها عن حضارتها، وتاريخها، وتراثها.

٦ ـ المؤسسة الأكاديمية تضعف وتفقد شطراً من حصانتها :

لقد فقدت المؤسسة الأكاديمية في بلادنا في هذه المفاصلة، التي أحدثها الاستكبار بينها وبين المؤسسة الدينية، شطراً واسعاً من حصانتها.. وقد جعلها ذلك عرضة لكثير من المؤثّرات والضواغط الثقافية والحضارية القادمة إلينا من الحضارات الغربية والشرقية الجاهلية، وفقدت استقلاليتها الثقافية وأصبحت حالة ثقافية عائمة تتحرك بكل اتجاه حسب الموجات الثقافية التي تدخل بلادنا من الغرب والشرق.

والذين عاشوا هذه الفترة يُدْركون جيداً ما أقول. فقد فقدت المؤسسة الأكاديمية (الجامعية) عندنا خصوصياتها الثقافية إلى درجة عالية، وكانت هذه خسارتنا في الجامعات.

أما خسارتنا في المراكز الدينية فقد كانت كبيرة في ما

آل إليه أمر هـذه المؤسسـة، مـن الضـعف، نتيجـة عزلهـا عـن الأوساط العلمية والاجتماعية، بفعـل هـذه المـؤامرة الواسـعة، التي طوقت مؤسساتنا الدينيـة والعلميـة، وأضـرّت بهمـا معـاً. عزلـت إحـداهن عـن الوسـط العلمـي الاجتمـاعي، وأفقـدت الثانية خصوصياتها الثقافية، والحضارية، وحصانتها، ومناعتهـا الثقافية.

بل كان لهذه المـؤامرة تـأثير علـى المسـتوى العلمـي فـي جامعاتنا أيضاً.. فقد مضـى علـى إنشـاء الجامعـات فـي العـالم الإسلامي أكثر من قرن ونصف قرن في العالم الإسلامي فـي مختلف شُعب العلم من العلوم التجريبية والرياضية والإنسانية والعلوم العقلية.. ولكن لا تزال جامعاتنا عيال على الجامعـات في الغرب.. ولا تـزال لغـة العلـم عنـدنا هـي الانكليزيـة، ولـم تتمكن جامعاتنا في العالم الإسلامي لحدّ الآن أن تتخلّص من حالة التبعية العلمية للغربيين.

ولم يحصل ذلـك بالتأكيـد مـن عجـز فـي العقـل الشـرقي الإسلامي، وإنما في التصميم الذي وضعه الغـرب للجامعـات العلمية في العالم الإسلامي وقام بحماية عملائهم فـي الشـرق

من حكّام وأمراء يحكمون العالم الإسلامي تحت مظلّة الغرب.

والتبعيّة العلمية تستتبع التبعيّة الاقتصادية، والتبعيّة الاقتصادية تستتبع التبعيّة السياسية، وهاتان المعادلتان تتبعان حالة التعويم الثقافي في جامعاتنا.. وهي النقطة الأساسية والمبدئية في مسلسل العجز والضعف والفقر والتبعيّة السياسية في حياتنا.

٧ـ الانعكاسات الاجتماعية:

وكان للامتداد الواسع لحركة التغريب في أوساطنا الجامعية، وسقوط الحصانة الثقافية والحضارية من هذه المؤسسة الأكاديمية، تأثير بارز في سائر أوساطنا الاجتماعية والأدبية والفنية، فإن الحالة الثقافية في الجامعات تنعكس عادة على مساحة واسعة من المجتمع، فإن خريجي الجامعات رجالاً ونساءً ينتشرون في كل المساحة الاجتماعية من حياتنا، من مراكز القرار، إلى المراكز الاقتصادية، والعسكرية، والإدارية، والعلمية، والأدبية، والفنية وسائر الأوساط الاجتماعية ذات العلاقة بالجامعات.

وهكذا انتشرت موجة التغريب من خلال الجامعات إلى سائر أوساطنا الاجتماعية، والحكومية، والأدبية، والفنية، والصحافية، والتربوية، والتعليمية.

وكانت (مؤسسة السلطة والحكومة) المؤسسة الأكبر حجماً، والأكثر تأثراً، بموجة التغريب، فكانت تدعم حركة التغريب في الجامعة وفي دوائر الدولة وفي سائر المساحات الاجتماعية، من خلال نفوذها، وحضورها الواسع في المجتمع.. وبقدر ما كانت موجة التغريب تتمدّد في حياتنا من خلال (الجامعة) و(الدولة) كانت المؤسسة الدينية تنحسر وتتأخّر، للأسف.

وتقارنت هاتان الحالتان في هذه الفترة (ضعف المؤسسة الدينية، وطغيان حالة التغريب)، وكان لهذا التقارن المشؤوم أسوء الأثر في أوضاعنا الثقافية والسياسية والاجتماعية.

وتكتنف عادة حالة التغريب حالات الفساد والسقوط الأخلاقي والابتذال.

كما دخلت إلى مجتمعنا في هذه الفترة الأفكار، والثقافات، والنظريات، والمدارس الفلسفية الغربية والشرقية،

من دون وجود الحد الأدنى من المقاومة والمناعة، والحصانة الثقافية، ولك أن تُقدّر مدى الخسائر التي تحملتها أمتنا في هذه الفترة في كل أمصار العالم الإسلامي تقريباً.

٨ـ العولمة الثقافية:

هذه العوامل جميعاً أدّت إلى ما يطلق عليه اليوم بـ (العولمة الثقافية)، والعولمة الثقافية هي المدخل الطبيعي للعولمة السياسية والاقتصادية.

وليس معنى (العولمة الثقافية) أن تنفتح الأمة على الثقافات المتنوعة.. فإن هذا الانفتاح في الإسلام حالة ثقافية صحية بعكس الانغلاق، فإنها حالة متحجّرة غير راشدة وغير نامية.

يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾.

والاستماع إلى الآخر، والانفتاح على الثقافات الأخرى هو معنى الانفتاح الذي تدعو إليه الآية الكريمة، وخلافه الانغلاق الذي يرفضه الإسلام بدليل هذه الآية نفسها.

ولكنّ لهذا الانفتاح حدود وضوابط، ومن دون هذه

الحدود والضوابط تتحوّل حالة الانفتاح إلى حالة من التعويم الثقافي الذي يرفضه الإسلام .

ومن أهم هذه الحدود والضوابط أن تملك الأمة، التي تنفتح على الأمم الأخرى القدرة على التقييم، لتختار الصالح منها، وترفض الفاسد منها، وهو قوله تعالى: ﴿**فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾، فإن إتباع الأحسن لا يكون إلا عندما تملك الأمة أسباب ومقوّمات التقييم واختيار الأصلح، ورفض الفاسد وغير الصالح.. وهي درجة عالية من الوعي والمعرفة.

ومن ضوابط الانفتاح أن لا تفقد الأمة مكوّناتها وخصوصياتها الثقافية.

فلو فقدت الأمة خصوصياتها، وفقدت حصانتها الثقافية، تحوّل (الانفتاح الثقافي) عندئذٍ إلى (العولمة الثقافية) والتعويم الثقافي في سقوط الخصوصيات، وانهيار التحصينات التي تحفظ الأمة، وتحفظ لها تاريخها وتراثها، وانتماءها.

وهذا هو الذي حدث للمسلمين في هذه الفترة من تاريخنا المعاصر.

هذه الحالة تشبه إلى حدّ كبير الحالة المعروفة في الطب بفقدان المناعة، حيث يتعرّض الجسم لكل الأمراض المعدية بسهولة.

لقد كانت حالتنا الثقافية في تلك الفترة، وفي بعض الحدود الآن، تشبه هذه الحالة، وهي شيء آخر غير حالة الانفتاح.

فلسنا نعارض الانفتاح، ولسنا ندعو إلى الانغلاق والانكفاء على الذات.. وإنما ندعو إلى المحافظة على خصوصياتنا الثقافية، وإلى تحصين هذه الخصوصيات بالوسائل المكافئة للغارات الحضارية والثقافية التي نتعرّض لها ليل نهار.

والذي حدث يومئذٍ في العالم الإسلامي شيء آخر، يختلف تماماً عن حالة الانفتاح، فقد دخلت الأفكار والأعراف الغربية، وإلى حدّ ما الشرقية، إلى أدبياتنا وصحافتنا ومدارسنا ومنتدياتنا ومؤتمراتنا وإذاعاتنا، بل إلى شوارعنا وغرف أولادنا وبناتنا، من دون أية رقابة وتحصينات تذكر وهذا هو معنى (العولمة الثقافية) بالتحديد.

٩ـ العولمة الاقتصادية والسياسية:

العولمة الثقافية أولاً، ثم العولمة الاقتصادية والسياسية.. وهذه هي القاعدة.. والأمة التي تفقد خصوصياتها الثقافية، تتعرّض لحالة العولمة الاقتصادية والسياسية بالضرورة.

والذي ذكرناه في العولمة الثقافية نذكره في العولمة الاقتصادية والسياسية.

فلسنا نعارض أن ندخل الأسواق العالمية، وأن تدخل الدول والشعوب الأخرى أسواقنا، وأن نفتح أسواقنا على المؤسسات والمراكز الاقتصادية، فلا يمكن أن تنتعش الأسواق اليوم، إذا انقطعت عن الحركة التجارية في أسواق العالم.

ولا نعارض العلاقات السياسية مع دول العالم، بل مع دول الاستكبار العالمي أيضاً، ولكن شريطة أن تكون العلاقات الاقتصادية والسياسية علاقات متكافئة متبادلة، أمّا عندما نفتح أسواقنا على الشركات والمصانع والمراكز التجارية في الغرب، لنستقبل المنتجات التي تنتجها هذه المصانع والشركات، ثم لا يكون لأسواقنا ومراكزنا الاقتصادية دور

مكافئ لذلك في التصدير والتسويق والإنتاج، ويقتصر دورنا على الاستهلاك، ونفتح أسواقنا على الآخرين من دون أن نملك القدرة على التعامل الاقتصادي المتكافئ مع الآخرين.. فهذا الانفتاح هو من العولمة الاقتصادية الضارّة والمسيئة إلى حياتنا ومراكزنا الاقتصادية.

وكذلك الأمر في علاقاتنا السياسية، فإنّ هذه العلاقات إذا كانت قائمة على التبادل المتكافئ فهو من الانفتاح السياسي النافع. وأما إذا كان من نوع الانفتاح على النفوذ السياسي لأنظمة الاستكبار العالمي، فهو من الانفتاح الضار والمسيء إلى استقلالنا في القرار السياسي والمواقف السياسية.. وفي المسائل الاقتصادية والتحالفات العسكرية، وهذا هو ما نرفضه أشد الرفض.

والذي حصل فعلاً هو أننا تقبّلنا مختلف المؤثرات والضواغط السياسية والاقتصادية، على مواقع القرار في حكوماتنا، وفي أسواقنا، وهذا شيء آخر غير العلاقات السياسية والاقتصادية المتبادلة والمتكافئة.

أقول: إنّ التحصينات الثقافية تحفظ الأمة من منزلقات

العولمة الثقافية والسياسية والاقتصادية.. وتحفظ للأمة استقلالها في القرار السياسي وفي المواقع السياسية، كما تحفظ لها استقلالية أسواقها التجارية، ومراكزها الاقتصادية.

فلو كانت الأمة مؤمنة ومتمسكة بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ ومتمسّكة بقوله تعالى: ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾، تعاملت مع كل المراكز السياسية والاقتصادية في العالم بانفتاح، ومن دون أي حرج في العلاقات السياسية والاقتصادية، وترفض كل أنواع النفوذ والسبيل في هذه العلاقات، سواءً منها في السياسة أم في الاقتصاد. ولا تسمح للنفوذ الأجنبي أن يدخل إلى مواقع قرارها السياسي، ولا إلى مواقفها السياسية، كما لا تسمح لنفوذ الكيانات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية إلى مراكزها السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية، أيّاً ما يكون نوع هذا النفوذ والسبيل، ذلك لأن الله تعالى حرّم على المسلمين أن يتقبّلوا النفوذ والسبيل من الآخرين في علاقاتهم بهم.

أقول: إنّ الأمة إذا كانت متمسّكة ثقافياً بمبادئها وأصولها

فإنها تحميها من النفوذ السياسي والاقتصادي للآخرين. وأمّا إذا كانت متساهلة ومتسامحة في ذلك فهي تنفتح على كل أنواع النفوذ من قبل الاستكبار العالمي، وهو ما ذكرناه من أن العولمة الثقافية مفتاح للعولمة السياسية والاقتصادية.

١٠ـ عندما تعود المياه إلى مجاريها:

والآن وقد أذن الله أن تنحسر تلك الفترة المظلمة من تاريخنا، وسقطت حكومة العصابات في العراق، وسقطت حكومة آل بهلوي في إيران، وقام للإسلام فيها دولة رائدة وراشدة، وتزلزل أركان النظام الأتاتوركي في تركيا.. واستعاد المسلمون يقظتهم، وعادوا إلى دينهم، ورشدهم، وأنفسهم، في كثير من أقطار العالم الإسلامي، وشاء الله تعالى أن ينجلي الليل البهيم بصباح الوعي واليقظة.. آن لنا أن نعيد صياغة نظام حياتنا، ونبني أمتنا وعلاقاتنا بأنظمة الاستكبار العالمي الظالمة الفاسدة كما أمرنا الله تعالى.

لقد تساقطت الأنظمة العتيدة التي أقامها الاستكبار فينا، وتداخلت المؤسستان الكبيرتان، وتساقطت الحواجز.

وهذا السقوط السريع للحواجز التي كانت تحجز هاتين

المؤسستين، بعضهما من بعض، دليل واضح على أنها كانت حواجز مفتعلة، معارة، واستثناءاً وليس أصلاً، أقامها الاستكبار فينا، لغايات يعرفها ونعرفها، كما سقط الإلحاد في آسيا الوسطى، بعد ثمانين سنة من حجر الناس عن دينهم، وحظر التدين وحجبهم عن الله.. أقول: سقط الإلحاد مرة واحدة، بل انهار وتلاشى مرّة واحدة، لأن هذا الحجر والحظر كان مفتعلاً من الأساس، وعاد الناس إلى الله، وإلى دينهم وعبوديتهم لله، وإلى صلاتهم وصيامهم، وإلى أنفسهم وفطرتهم، كأن لم يكن من قبل حجر ولا حظر، وكما عادت المرأة المسلمة إلى حجابها في الشارع، وفي الجامعة، وفي دوائر العمل، وفي البرلمان، وفي العيادات الطبية، ومكاتب المحاماة، ودوائر التدريس بعد سنين من محاربة الحجاب والتشهير به، والعمل على عزل المحجّبات.. لقد عاد الحجاب إلى كل المساحات الفاعلة والمؤثرة في حياتنا، وكأنْ لم يكن هناك من قبل حرب إعلامية ضد الحجاب، وكأنْ لم تمارس السلطات في تركيا وإيران من قبل حظراً قانونياً على الحجاب، وكأنْ لم يفرض الحكام من قبل عقوبات على

المحجّبات.. عاد الإسلام إلى المرأة المسلمة، وعادت المرأة المسلمة إلى نفسها، وكأنْ لم تكن هناك من قبل حرب إعلامية وقانونية وسلطوية على الحجاب لا هوادة فيها.

وهذه العودة، مرّة واحدة، لهذه الحالات جميعاً: (العلاقة بين المؤسسة الدينية والمؤسسة العلمية، التدين والإيمان بالله، الحجاب.. وأمثال ذلك) أمارة واضحة على أن الحالات المعاكسة لها كانت حالات معارة، مفتعلة، قسرية، فلما ارتفع القسر رجع الناس إلى ربهم، ورشدهم، وأنفسهم، وفطرتهم، وتاريخهم.

١١ـ تشييد الجسور:

ولكي نحافظ على هذه الحالة السويّة من العلاقة بين المؤسسة الأكاديمية والمؤسسة الدينية، والتداخل الواسع بينهما، والتفاعل فيما بينهما لابد من:

١ ـ العمل على تشييد جسور التفاهم، والتعاون، والتعامل بين هاتين المؤسستين.

٢ ـ إغناء الجامعات بالدروس التوجيهية الإسلامية لجبر الفترة المظلمة السابقة من الفصل بين الدراسات التخصصية

الجامعية والدراسات الدينية.

٣ ـ إغناء الحوزات العلمية بالشباب الناهض والناضج من العوائل العريقة في مجتمعنا، للقيام بمسؤوليات الحوزة العلمية في هذه المرحلة الجديدة من تاريخنا.

٤ ـ تطوير الدراسات الإسلامية العامة، والتخصصية (كالفقه، والأصول، والتفسير، وعلوم القرآن، والأخلاق، والعقائد، والحديث..) في حوزاتنا العلمية بشكل ينهض بحاجات عصرنا المتزايدة إلى الوعي الإسلامي، وإلى الدراسات التخصصية العليا في فروع التخصص الحوزوي.

٥ ـ تبادل الأساتذة بين الجامعة والحوزة العلمية، فإن حضور الأساتذة المتخصصين من الحوزة في الجامعات، وحضور الأساتذة المتخصصين من الجامعات في الحوزة، يساعد كثيراً على نقل الوعي الديني إلى الجامعات ونقل التطورات العلمية إلى الحوزات العلمية، ويساعد على تقارب وتداخل هاتين المؤسستين في مجتمعنا الإسلامي اليوم.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس